



الحمد لله الذي حفظ الدين وسخر له جيوشاً من الدعاة والعلماء العاملين المخلصين يدعون إليه ويدافعون عنه ويبيّنون أحكامه للناس. وأنا أقل بكثير من أن أكون في العلماء، ولكنني أرجو أن تكون جندياً صغيراً في كتبية الدعاة إلى الله، فأصرف في خدمة ديني ما بقي من أيامي كما صرفت في خدمته أكثر ما مضى منها بفضل الله.

والدعاة قد يختلفون في المنهج ولكنهم يتفقون على الغاية، ومن هنا ظهر بعض التباين بيني وبين غيري في فكرة طرحتها في مقالتي الأخيرة، حينما دعوت إلى عدم معارضه أي مشروع من شأنه أن يُنهي محنَة السوريين ويوقف القتل والمعاناة، ولو لم يحقق إسلامية سوريا على الفور، طالما لم يتضمن أي قيد علماني يقيدها ويمتنع أهلها من اختيار الإسلام حاكماً لحياتهم ودولتهم فيما يأتي من الأيام.

لم أخالف غيري من الدعاة في الغاية، فنحن كلنا متفقون على الهدف:

نريد أن تصبح سوريا بلداً إسلامياً يُحَكَم بالإسلام ويعيش أهله بالإسلام. وإنما اختلفنا في التوقيت فقط، فأنا لا أجد مشكلة في أن نصل إلى هذا الهدف "بعد" انتصار الثورة وسقوط النظام، وغيري قد يخالفني فيقول: بل يجب أن يكون هذا جزءاً من استحقاق الثورة وإنجازها الفوري ونصرها الكامل إن شاء الله.

أنا ومن يواافقني في اجتهادي نعتمد على ثلاث مقدمات للوصول إلى النتيجة السابقة:

- (1) نضع بين أعيننا المحنَة الفظيعة التي يعيشها أهلنا في سوريا، ونعلم أن اليوم من أيامها يحمل ما لا يوصف من العذاب والقتل والتدمير، فإذا استطعنا أن نختصر من المحنَة يوماً، بل ساعة، لم يَجُزْ أن لا نفعل.
- (2) ونعلم أن الثورة تسعى إلى سقوط النظام كاملاً وتعتبر ذلك هدفها الأعلى، فهي تريد سوريا الحرة، ولكنها تريد أيضاً

سوريا المسلمة، ولو لا ذلك لم يكن لهناف الثوار "هي لله" و"لبيك يا الله" أي معنى.

(3) ثم إننا ندرك أن المجتمع الدولي بشرقه وغربه سيطوق المحنّة على أهل سوريا حتى يُلزمهم بحل يرضيه، وليس التزام السوريين بالإسلام وإعلان الإسلام هوية سوريا ومصدراً للتشريع فيها مما يرضيه.

الولايات المتحدة وحلفاؤها يريدون أن يخلو أي دستور يوضع لسوريا اليوم من الارتباط بالإسلام تشارياً وانتماً وهوية، ويريدون أن يكتبوا سوريا الغد بقيود تمنعها من تحقيق ذلك في أي يوم من الأيام.

أنا لا أجد أن الأمرين سواء، فنحن لا يمكننا الموافقة على تقييد سوريا بمبادئ دستورية عليها تضمن علمانيتها وتمنع إسلاميتها، ولكننا نستطيع تأجيل معركة الهوية إلى ما بعد سقوط النظام، لأن الشعب الذي أسقطه لن يعجز عن فرض مطالبه، والمعركة التي خضناها حرباً وصولاً إلى الحرية سنكمّلها سلماً وصولاً إلى إسلامية سوريا بعون الله.

إن معركتنا في سوريا هي معركة للحرية والإسلام، والانتصار في الأولى انتصار في الاثنين معاً، لأن الإسلام لا يحتاج إلا إلى الحرية ليظهر وينتشر في الناس. لذلك قال النبي -صلى الله عليه وسلم- يوم الحديبية، حينما منعه كفار مكة من دخولها معتمراً مسالماً غير محارب: "يا ويح قريش، لقد أكلتهم الحرب! ماذا عليهم لو خلوا بيني وبين سائر العرب؟ فو الله لا أزال أجاهد على الذي بعثني الله به حتى يظهره الله أو تنفرد هذه السالفه". أي أنه عزم على قتالهم -عليه الصلاة والسلام- حتى يخلوا بينه وبين الناس، وهذا ما نقوله في سوريا اليوم.

إن نظام الاحتلال الأسدية الباعثي الطائفي كان عائقاً أمام إسلامية سوريا، فحارب الدين والفضيلة ونكل بالدعوة والمتدينين، وإننا قد ثرنا عليه لنسقطه ونسقط عوائقه، لذلك فإننا نشرط شرطاً أساسياً لا تهاون فيه ولا تصالح دونه؛ وسوف ننصر عليه ولو امتدت الثورة مائة عام، وهو أن لا توجد في سوريا الحرة الجديدة أي قيود على التدين ولا على الدعوة إلى الدين. لكن لا يفهم أحدٌ من ذلك أننا نعتزم إلزام الناس بالإسلام. قلت في مقالتي السابقة إنني أثق بأن الإسلام سيكون اختيار الشعب السوري بغالبيته العظمى، فإذا لم يكن كذلك فلا بد أننا قصرنا في تقديمها للناس، ومن ثم فإن الواجب على العلماء والدعاة أن يجتهدوا ويستمروا بالدعوة إلى الله.

أما أن يفرض الإسلام على السوريين فرضاً فما أبعد هذا عن الصواب، لأن الإجبار ينفر الناس ويرفع بينهم وبين الدين حاجباً نفسياً ثقلياً، وأن الإسلام يرفض الإكراه: {لا إكراه في الدين}، {أفأنت تُكره الناس حتى يكونوا مؤمنين؟}، ويقوم على الدعوة والبلاغ: {إِنْ عَلَيْكَ إِلَّا الْبَلَاغُ، وَمَا أَنْتَ عَلَيْهِ بِجَبَارٍ}.

يجب أن يكون الإسلام هو اختيار الشعب، وعندما يكون هو اختيار الأغلبية فلا يحق للباقي أن يرفضوه، ولو كانوا كارهين.
أليس هذا من أهم أركان الديمقراطية التي وافقوا عليها؟

نعم أيها الكارهون؛ هذا منهانا لا نخفه ولا نخدع عنه الناس: نحن مسلمون ونحب أن يحكمنا الإسلام، ولقد قرأتم هذا الرأي في كتاباتي مرات ومرات، وقرأتموه في كتاباتٍ لا تُحصى كتبها غيري ممّن هم أكثر مني فضلاً وأكثر علمًا، ولكنـــ مهما بلغ حبنا لديتناـــ لا نجيـــز لأنفسنا أن نُكرهـــ عليهـــ الناســـ لأنـــ هذاـــ ليســـ منـــ منهجـــ الإسلامـــ كماـــ قـــلتـــ قبلـــ قـــليلـــ. فمنـــ أينـــ يأتيـــ المتـــقولـــونـــ عليناـــ بالأـــقاـــوـــيلـــ؟

علـــقـــ أحـــدـــهـــ عـــلـــيـــ بـــعـــضـــ كـــتابـــاتـــيـــ مـــرـــةـــ فـــقـــالـــ إـــنـــهـــ لـــاـــ يـــطـــيـــقـــنـــيـــ أـــنـــاـــ وـــأـــمـــاثـــالـــيـــ. لـــمـــاـــ؟ـــ قـــالـــ: "نـــخـــافـــ مـــنـــكـــ أـــنـــتـــ وـــأـــمـــاثـــالـــ لـــأـــنـــكـــمـــ تـــرـــيـــدـــونـــ الـــحـــكـــمـــ بـــالـــإـــســـلـــاـــمـــ وـــتـــرـــيـــدـــوـــنـــ أـــنـــ تـــلـــزـــمـــوـــنـــاـــ بـــهـــ وـــتـــحـــمـــلـــوـــنـــاـــ عـــلـــيـــهـــ بـــالـــإـــكـــرـــاـــ".

فقلـــتـــ لـــهـــ: لـــقـــدـــ أـــصـــبـــتـــ فـــيـ~ــ شـــطـــرـ~ــ حـ~ــكـ~ــمـ~ــ وـ~ــأـ~ــخـ~ــطـ~ــاتـ~ــ فـ~ــيـ~ــ الشـ~ــطـ~ــرـ~ــ الثـ~ــانـ~ــيـ~ــ .

إنـــناـ~ــ نـ~ــرـ~ــيـ~ــ الـ~ــحـ~ــكـ~ــمـ~ــ بـ~ــالـ~ــإـ~ــسـ~ــلـ~ــاـ~ــمـ~ــ،ـ~ــ نـ~ــعـ~ــ،ـ~ــ هـ~ــذـ~ــاـ~ــ صـ~ــحـ~ــيـ~ــ،ـ~ــ وـ~ــإـ~ــلـ~ــاـ~ــ فـ~ــبـ~ــمـ~ــاـ~ــ تـ~ــرـ~ــيـ~ــدـ~ــوـ~ــنـ~ــاـ~ــ أـ~ــنـ~ــ تـ~ــحـ~ــكـ~ــمـ~ــ؛ـ~ــ بـ~ــالـ~ــتـ~ــلـ~ــمـ~ــوـ~ــأـ~ــمـ~ــالـ~ــكـ~ــيـ~ــ أـ~ــمـ~ــ بـ~ــشـ~ــرـ~ــيـ~ــةـ~ــ الـ~ــهـ~ــنـ~ــدـ~ــوـ~ــسـ~ــ؟ـ~ــ وـ~ــأـ~ــمـ~ــاـ~ــ إـ~ــكـ~ــرـ~ــاـ~ــ وـ~ــإـ~ــلـ~ــزـ~ــاـ~ــمـ~ــ فـ~ــمـ~ــ أـ~ــنـ~ــ جـ~ــئـ~ــتـ~ــ بـ~ــهـ~ــ؟ـ~ــ

أتـــمـ~ــنـ~ــ مـ~ــنـ~ــ اـ~ــتـ~ــهـ~ــنـ~ــيـ~ــ بـ~ــهـ~ــ أـ~ــنـ~ــ يـ~ــأـ~ــتـ~ــيـ~ــ عـ~ــلـ~ــيـ~ــ بـ~~ــ دـ~~ــلـ~~ــلـ~~ــ؛ـ~ــ بـ~~ــمـ~~ــقـ~~ــاـ~~ــلـ~~ــأـ~~ــوـ~~ــفـ~~ــقـ~~ــرـ~~ــأـ~~ــوـ~~ــسـ~~ــطـ~~ــأـ~~ــكـ~~ــلـ~~ــمـ~~ــاـ~~ــ كـ~~ــتـ~~ــبـ~~ــهـ~~ــ وـ~~ــنـ~~ــشـ~~ــرـ~~ــتـ~~ــهـ~~ــ عـ~~ــلـ~~ــىـ~~ــالـ~~ــمـ~~ــلـ~~ــأـ~~ــ.ـ~ــ

وللعلم فليس عندي كتاب ظاهر وكتاب مستتر، ما أريد قوله أمام كل الناس، وإذا كتبت صدقت ولم أداور ولم أناور، لا خوفاً ولا تقىة، فلا حُلُقٌ يسمح لي بالخوف ولا ديني يسمح لي بالتقىة والنفاق. أنا أريد إجبار الناس على الإسلام؟! يا له من بهتان عجيب! أنا لا أجبر أولادي على أمر حتى أجبر عليه أولاد الناس. لا، ليس أنا من يدعوا إلى إكراه الناس على أمر لأنني أكره أن يُكرهني أحد على ما لا أريد.

فلنتفق نحن وأنتم يا أيها العلمانيون: لا نلزمكم بإسلامنا ولا تلزموننا بعلمانيتكم.

الميدان مفتوح لنا ولكم واختيار الناس هو الاختبار. أم أنكم تخافون من الاختبار وتخشون من حرية الناس في الاختيار، فتتوسلون إلى قهرهم بقيود قانونية أو دستورية أو فوق دستورية تحرصون على تثبيتها منذ اليوم؟ هذا بيان للناس كافة من شرق ومن غرب، ومن خصوم لنا يعيشون بيننا ويلبسون جلدتنا ويتكلمون لغتنا، ثم يكيدون لسوريا كما كاد لها في الماضي نفر من خَوَّة أبنائهما:

لقد قاتل الشعب السوري نظاماً من أسوأ أنظمة الحكم في التاريخ وأشدها قمعاً وأكثرها دموية، قاتله لينال حريته الكاملة، حرية التفكير وحرية التعبير وحرية الدين وحرية اختيار المصير، ولن يضره أن يكمل معركته مع أي قوة في الدنيا تحاول أن تسلبه أياً من تلك الحقوق، فإياكم أن تحاولوا فرض العلمانية عليه وحرمانه من حق اختيار الإسلام الذي يريد. انتبهوا إلى هذا التحذير، فإنه جد لا هزل فيه: كم قدم الشعب السوري العظيم إلى اليوم؟ مئة ألف شهيد؟ سيقدم مئة ألف شهيد غيرهم لكيلا يسرق أحد ثورته، وحتى لا يسلبه أحد دينه وحريته وكرامته ويعيده إلى قفص العبودية من جديد.

المصدر: [الزلزال السوري](#)

المصادر: